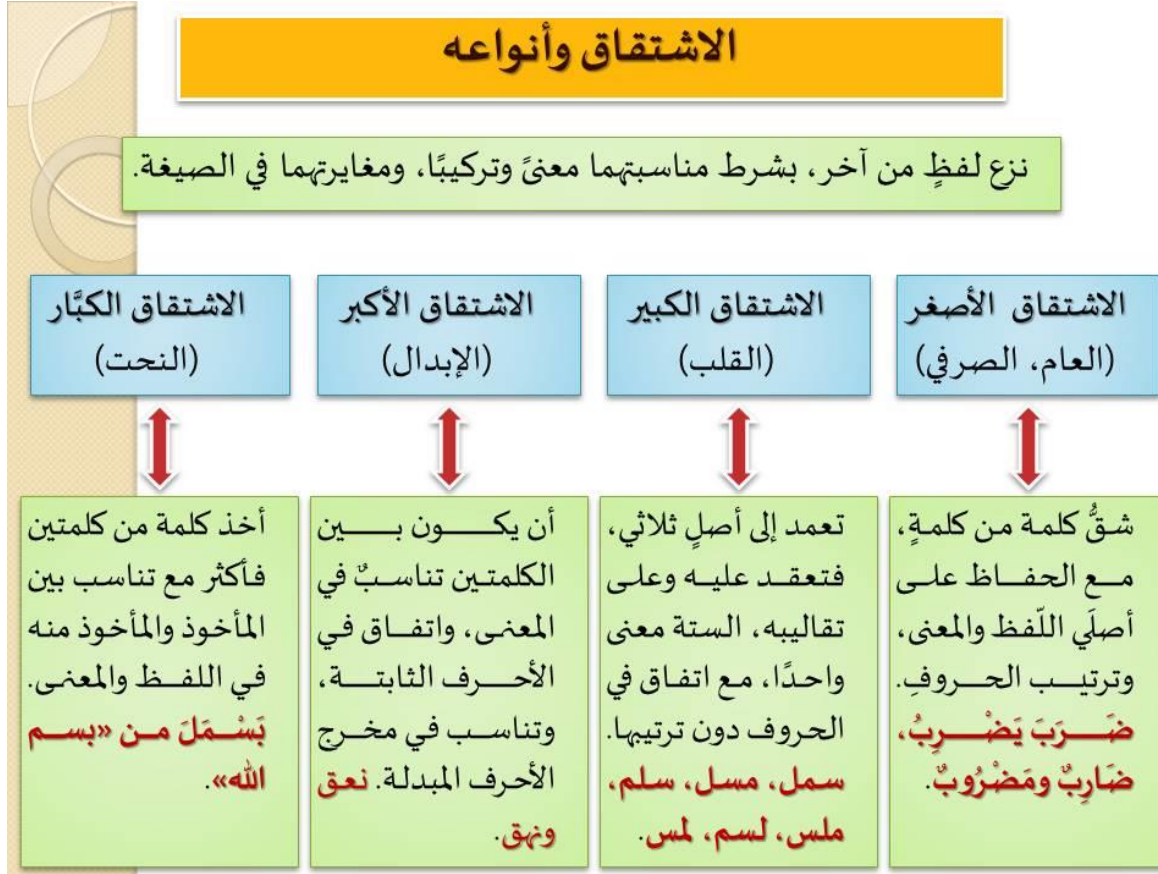


❖ المحور الثالث: علاقة اللفظ بالاستعمال:

❖ أولاً. الاشتقاق:



تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بكونها لغة اشتقاقية، واتساع معجمها اللفظي، فللمعنى الواحد ألفاظ متعددة، إذا تعسر على المتكلم لفظة أتى بمرادفها، سواء كان مصدر التعسر النسيان، أو عدم القدرة على نطق بعض الحروف، وألفاظها تتوالد، ولها طريقة عجيبة في التوليد جعلت آخر هذه اللغة متصلاً بأولها في نسيج ملتحم من غير أن تذهب معالمها بعكس اللغات الأوروبية ففي اللغة العربية نشق المكتبة (اسم المكان) من الكتاب والكتابة بينما لا علاقة بين (book) التي تعني كتاب في اللغة الإنجليزية وبين (library) التي تعني مكتبة.

والكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلة بل تعيش متجمعة في مجموعات كما يعيش العرب في أسر وقبائل، وعلى أساس ذلك تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها، مثل: كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب... فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها، فضلاً عن اشتراكها في قدر معين من معنى المادة الأصلية العام.

■ مفهوم الاشتقاق:

لغة: اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا. واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه¹.

اصطلاحاً: الاشتقاق نزع لفظٍ من آخر، بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة².

وشرط الاشتقاق أن يتحقق التوافق بين اللفظ المشتق واللفظ المشتق منه في التركيب والدلالة، بل لا بد أن يحمل المشتق معنى جديد يضاف إلى الدلالة الأصلية للمشتق منه، لأنه يعتمد في جوهره على توليد بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد³. أجمع أهل اللغة على أن للغة العربية قياس تعتمد عليه في اشتقاق الكلام بعضه من بعض، وقد نقل هذا الإجماع ابن فارس قائلاً: « أجمع أهل اللغة - إلا من شذَّ منهم - أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتقُّ بعض الكلام من بعض واسم الجِنِّ مشتقٌّ من الاجْتِنان وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر تقول العرب للدرِّع: جُنَّةٌ وأجنَّه الليلُ وهذا جنين أي هو في بطن أمه⁴ ».

■ شروط الاشتقاق:

أكد علماء اللغة على أن ثمة شروطاً لا بد أن تتوفر في الاشتقاق، وإلا لم يصدق عليه مصطلح الاشتقاق، وقد حصرت هذه الشروط في ثلاثة:

1. **لابد في المشتق، اسماً كان أو فعلاً، أن يكون له أصل،** لأن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان أصلاً في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقاً.
2. **أن يناسب المشتق الأصل في جميع الحروف الأصلية.**
3. **أن يكون بين المشتق والمشتق منه (الأصل) تناسب في المعنى⁵.**

■ أنواع الاشتقاق:

حصرت علماء اللغة الاشتقاق في أربعة أنواع:

1 لسان العرب، ابن منظور، مادة (شق)

2 كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص 27

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 257

4 المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج 01 ص 274

5 د. محمد أسعد النادري، المرجع السابق، ص 258

1. الاشتقاق الأصغر (العام)

2. الاشتقاق الكبير (القلب)

3. الاشتقاق الأكبر (الإبدال)

4. الاشتقاق الكُبار (النحت)

ويدرس الاشتقاق على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد. وهذه الوسيلة الرائعة في توليد الألفاظ وتجديد الدلالات نجدها في أنواع الاشتقاق الثلاثة الشائعة: الأصغر، والكبير، والأكبر، وفي النوع الرابع الملحق بها، وهو النحت¹.

■ أولا. الاشتقاق الأصغر (العام أو الصرفي):

هو أهم أنواع الاشتقاق الأربعة، وأكثرها استعمالا في العربية، وإذا أطلق لفظ الاشتقاق دون قيد، فهو المقصود، عرفه العلماء بأنه: «أخذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحذِر من حذِر»².

أو هو شقُّ كلمة من كلمة، مع الحفاظ على أصلي اللَّفظ والمعنى، وترتيب الحروف؛ كضَرْبٍ يَضْرِبُ فهو ضَارِبٌ لا مَضْرُوبٌ من (الضَرْبِ) ودَخَرَجٌ يُدَخِّرُ فهو مُدَخِّرٌ لا مُدَخَّرٌ من (الدَّخَرَجَةِ)، ويُعدُّ من أهمِّ المقاييس أو الأدلَّة التي تُميِّزُها الأصول؛ بعضها من بعض، إن لم يكن أهمُّها على الإطلاق³.

وأهم ما في الاشتقاق الأصغر ارتداد التصاريف المختلفة المتشعبة عن المادة الأصلية، إلى معنًى جامعٍ مشتركٍ بينهما، يغلب أن يكون معنًى واحداً لا أكثر، كما في تصاريف مادة "ع ر ف" فجميعها تفيد الانكشاف والظهور⁴.

1 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص 174

2 المزهري في علوم اللغة، السيوطي، ج 01 ص 275

3 تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة، المملطة العربية السعودية، ط 1: 1422 هـ، ج 1 ص 247

4 د. صبيح إبراهيم الصالح، المرجع السابق، ص 174

■ أصل المشتقات:

لا بد من التنبيه إلى أن ثمة خلاف بين مدرستين عريقتين في اللغة وهما البصريون والكوفيون في أصل المشتقات فالبصريون يرون أن المصدر هو الأصل والفعل مشتق منه، والكوفيون يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر مشتق منه. واستدل البصريون على أن المصدر أصل الفعل بأمور منها، أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل.

واستدل الكوفيون على أن الفعل أصل المصدر بأمور، منها أن المصدر يصح لصحة الفعل، ويعتل لاعتلاله، كما في قولك: قاوم قوَّاماً وقام قياماً، فلما صح المصدر لصحة الفعل واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه.

والخلاف في هذه المسألة مبسوط في كتب النحو والصرف¹، فلا حاجة لبسطه هنا، وقد رجح جمهور العلماء مذهب البصريين².

لا شك أن المصدر أجدر أن يكون هو أصل المشتقات كلها؛ «لأن المصدر -كما يقول الأستاذ الأفغاني بحق- يدل على حدث، والفعل يدل على حدث وزمن، والأسماء المشتقة تدل على حدث وزمن مع زيادة ثالثة؛ كالدلالة على الفاعل أو المفعول أو التفضيل أو المكان، فهذه الكثرة من المشتقات التي جعلت للغة سعتها، ومرونتها أخذت من المصادر التي هي جميعاً أسماء معانٍ»³.

والأخذ برأي الجمهور على أن المصدر هو أصل الاشتقاق، يقودنا إلى بيان المراد بالمشتقات والتي تشمل: **الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، واسم المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة، واسم الهيئة، واسم المرة، والمصدر الميمي**⁴.

1 الصحيح أن المصدر أصل للفعل والوصف؛ لأن من شأن الفرع أن يكون فيه ما في الأصل وزيادة. والفعل والوصف بالنسبة إلى المصدر كذلك؛ فالمصدر يدل على مجرد الحدث؛ وكل من الفعل والوصف يدل على الحدث وزيادة؛ فالفعل يدل على الحدث والزمان. والصفة تدل على الحدث والوصف؛ وهذا مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيرون أن الفعل أصل المشتقات كلها، ويرى ابن طلحة أن كلا من المصدر والفعل أصل قائم بذاته؛ ويرى جماعة من النحاة أن المصدر أصل للفعل وحده، وأن الفعل أصل لسائر المشتقات.

2 موت الألفاظ في العربية، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط29: العدد 107، ص391

3 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص181

4 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص260

وجدير بالذكر أن الاشتقاق في اللغة العربية لم يقتصر على المصادر التي هي أسماء معان، بل إننا نجد في كلامنا ألفاظا مشتقة من غير المصدر، **كالاشتقاق من أسماء الجواهر التي هي أسماء الأعيان**، وبهذا اعتبر أسماء الأعيان أصل للمشتقات في مادته، **فقد اشتق لفظ الفعل «تَأَبَّلَ» أي اتخذ إبلاً من الاسم «إبل»**، والفعل «تَأَرَّضَ» أي لصق بالأرض من الاسم «أرض»، والفعل «تَبَنَّى» أي اتخذ ابنا من الاسم «ابن»...¹

وقد أكثر العرب من اشتقاق الأفعال والمصادر من هذه الأسماء، وامتلأت المعاجم وكتب اللغة بما لا يحصى من الجواهر التي تفرعت عنها الصفات والأحوال، والمصادر والأفعال، **فمن الإنسان اشتقوا: رَأْسُهُ رَأْسًا** إذ ما أصبت رأسه، وأَفْخَتْهُ أَفْخًا إذا ضربت يافوخه، فإن ضربت دماغه قلت دمغته، وإن أصبت منخره فقد نخرته، أو أنفه أنفته، أو ذقنه ذقنته، أو ظهره ظهرته، أو فقاره فقرته، أو بطنه بطنته، أو كبده كبذته، أو يده يديته، أو ساقه سقته، أو رجله رجلته، أو كعبه كعبته.

ومن الأسماء الأقارب اشتقوا المصادر والأفعال، فالتبني من الابن، والتأبي من الأب، والتأمم اتخاذ الأم، والبعال والمباعلة: اتخاذ البعل.

وولّدوا كثيرًا من الألفاظ من أسماء الأمكنة فقالوا: أحرم القوم: دخلوا في الحرم، ساحلوا: أتوا الساحل، كوف: صار إلى الكوفة، قدّس: أتى بيت القدس، أيمن: أتى اليمن، أهضب: نزل الهضاب.

ومن الأسماء الأزمنة اشتقوا اشتقاقًا صريحًا، فقالوا: أخرفوا، وشتوا، وأربعوا، وأصافوا، وأفجروا، وأظهروا، واستحروا، وابتكروا.²

كما اشتق العرب من أسماء الحيوانات أفعالًا وأحوالًا، فقالوا: استأسد الرجل: صار كالأسد، واستنوق الجمل: صار كالناقة أو تشبه بها.

واشتقوا أيضًا من حروف المعاني، فقالوا: سَوَّفَ الأمر، أي ماطل من الحرف سوف، وأنعم، أي قال: نعم، ولألى، أي قال: لا، وكوفت كافا حسنة، ودولت دالا جيدة، وزوّيت زايا قوية.³

هذا النوع من الاشتقاق قياسي، ويخالف في هذا بعض قدامى اللغويين العرب، فيرون أنه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق، وأن كل كلام العرب توقيف، ومن هؤلاء

1 الاشتقاق، عبد الله أمين، ص 147: نقلا عن: فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 261

2 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص 182-183

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 261

ابن فارس اللغوي، الذي يقول: «إن الذي وقفنا على أن الاجتنان: التستر، هو الذي وقفنا على أن "الجَنِّ" مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه؛ لأن في ذلك فساد اللغة، وبطلان حقائقها»¹، وفي هذا القول غلو وإسراف في منع القياس على ما اشتقه العرب، وأن الاشتقاق مذهب من مذاهب العربية، الذي يجدد شباهها على مر الزمن، وأنه قياسي كما ذهب إلى ذلك جمهور اللغويين²، ومن المؤكد أن القول بقياسية الاشتقاق الأصغر تلبية للحاجات التعبيرية المتتالية، وقد لوحظ أن الكثير من تلك الصيغ التي يجوز اشتقاقها لا وجود لها فعلاً في نص صحيح من نصوص اللغة، فهناك فرق كبير بين ما يجوز لنا اشتقاقه من صيغ، وما اشتق فعلاً واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل اسم فاعل أو اسم مفعول مرويان في نصوص اللغة، فقد لا يحتاج إليهما المتكلم أو الكاتب في فعل من الأفعال³.

■ ثانياً. الاشتقاق الكبير (القلب):

أول من فكر فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) وعلى أساس تلك الفكرة رتب معجمه (كتاب العين) ولكن أول من بسط فيه القول وبَيَّن جوانبه ووضَّحه أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) الذي ذكر أن شيخه أبا علي (ت377هـ) كان يستأنس به يسيراً، وجمهور الصرفيين يطلقون على هذا النوع القلب المكاني⁴.

وهو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية، ترجع

تقاليها الستة وما يتصرف من كلٍّ منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي⁵.

ويسميه ابن جني الاشتقاق الأكبر، لكن الشائع عند أكثر اللغويين تسميته بالاشتقاق الكبير، قال: «وأما الاشتقاق الأكبر⁶ فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه، الستة معاً واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك "عنه" رُذِّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل

1 الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس، ص36

2 بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3: 1415 هـ، ص182

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص262

4 من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد

الله، جمال الدين، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط29: العدد 107: 1418 هـ، ص316

5 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص186

6 يقصد به الاشتقاق الكبير.

الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد، من ذلك تقليب: "س م ل"، "م س ل"، "س ل م"، "م ل س"، "ل س م"، "ل م س"، "ل م س"¹، فابن جني يرى أنه مهما تقلبت واختلف ترتيبها الصوتي، فإن "المعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحاب والملاينة.

وابن جني هو الذي توسّع في الروابط المعنوية وفي ضرب الأمثلة الموضحة لها، وإن كان لم يزعم اطراد هذا النوع من الاشتقاق في جميع مواد اللغة، بل صرّح باستحالة اطراد والإحاطة² فقال: «واعلم أنا لا ندّعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك "الذي هو في القسمة سُدُسُ هذا أو خُمُسُهُ" متعذرًا صعبًا، كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبًا، وأعزّ ملتمسًا»³.

ومن أمثلته تقليب "ج ب ر" إلى "ج ب ر"، "ج ر ب"، "ر ج ب"، "ر ب ج"، "ب ر ج"، "ب ج ر"، فهي أين وقعت للقوة والشدة، منها: "جبرت العظم والفقير" إذا قويتها وشددت منها، والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره، ومنها: "رجل مجرب" إذا جرّبه الأمور وأحكّمته، فقويت منته واشتدت شكيمته، ومنه الجراب؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي اشتدّ وقوي، ومنها: "الأبجر والبجرة" وهو القوي السرة، و"منه البُرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه، ومنها رجّبت الرجل إذا عظّمته وقوّيت أمره، ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كرمتم النخلة على أهلها فمالتم دعموها بالرجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به. والراجبة: أحد فصوص الأصابع وهي مقوية لها»⁴.

وقد انتقد العديد من اللغويين القدامى والمحدثين مذهب ابن جني في التقاليب الخاصة بهذا النوع من الاشتقاق، كالسيوطي.

وأما المحدثون فإنهم وإن أثنوا على ابن الجني واعترفوا بالفضل والسبق، فضلًا عن حدة ذكائه وبراعته في إثبات الترابط المعنوي بين تلك التقاليب وإهماله بلطف ورشاقة ما لم ينسجم مع المعنى العام الذي استنبطه، لكنهم مع ذلك فقد انتقدوا منهجه واعتبروا أن ما أثبتته لا يكفي لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير، ويعتقد عبده الراجحي أن هذا الاشتقاق ليس معتمدا في اللغة، لأن محاولة الوصول إلى قدر مشترك من المعاني بين

1 الخصائص، ابن جني، ج2 ص136-139

2 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص188

3 ابن جني، المصدر السابق، ج2 ص140

4 المصدر نفسه، ج2 ص137-138

تقاليب اللفظ الواحد لا يعدو أن يكون صنعة اشتهر بها أبو الفتح في تحليله لبعض الظواهر اللغوية¹.

وقد أكد بعض الباحثين أن أنصار الاشتقاق الكبير قد اقتبسوا فكرة تقليب الأصول من معجم العين للخليل، وغيره كجمهرة اللغة لابن دريد، لكن منهج الخليل وابن دريد في التقليلات، هو منهج إحصائي، غايتها حصر كل المستعمل من ألفاظ اللغة، وبيان المهمل، دون أن يحاولوا رد هذه التقاليب إلى معنى واحد جامع، كما فعل ابن جني، الذي من المتوقع أنه قد استلهم هذا المنهج من فكرة الخليل في معجمه².

■ الفرق بين الاشتقاق الكبير والقلب:

تحدث علماء اللغة عن الاشتقاق الكبير والقلب، ومثلوا لكل منهما بأمثلة مشتركة وأصبح المتتبع لكلامهم يعتقد أنهما من باب واحد، فهل يعني هذا أن مصطلح الاشتقاق الكبير له نفس مدلول القلب، وأنه ليس بينهما فرق؟

في حقيقة الأمر، ليس مصطلح (الاشتقاق الكبير) في مؤداه لديهم كمصطلح القلب، وأظهر دليل على ذلك أن ابن جني وهو مبتدع (الاشتقاق الكبير) بلا نزاع، قد أفرد في الخصائص باباً للقلب فجعل عنوانه (في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير). ومثل فيه ب (جذب وجبذ) ووازن بينه وبين (يئس وأيس) وسواه، ولم يشر في ذلك إلى شيء مما عقد عليه الكلام حول ما أسماه (الاشتقاق الأكبر) أي الكبير، وكذلك فعل في كتاب (سر صناعة الإعراب)، فقد أتى ب (آن وأنى) وذهب إلى احتمال أن يكون من أمثلة القلب أو مما جاء على هيئته، ولم يلمح إلى شيء مما يتصل بالاشتقاق الكبير، وهو قد خصّ هذا الاشتقاق في الخصائص بباب مثل فيه ب (سلم) وتقاليبه الستة، وصنع مثل هذا في (كلم) و(قول) و(جبر) و(قسو) وتقاليب كل منها، ولم يتطرق إلى شيء مما جاء به في القلب في (باب الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير) من قريب أو بعيد. أفليس يدل الفصل بين (القلب) و(الاشتقاق الكبير) عند ابن جني، وإفراد كلٍّ ببحث وباب على حدة، على أن بينهما من التباين ما يوجب ميز أحدهما من صاحبه³؟

¹ فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 265-266

² المرجع نفسه، ص 266

³ النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلوي، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، - دمشق العدد 32 -

السنة الثامنة: 1408هـ، ص 560

المراد بالقلب: أراد الأئمة بالقلب غير ما أرادوه بالاشتقاق الكبير. فأمثلة القلب توجي بأن العرب قد عنوا ألفاظاً بعينها فتحركت ألسنتهم بما يجاورها نطقاً، فلم يخالفوا بين ما نطقوا به وما عنوه من الألفاظ في الحروف، لكنهم خالفوا في مواقع هذه الحروف بعضها من بعض، مثال ذلك قولهم (أيس)، وقد عنوا به (يئس) بمعنى قنط، وأسموا (أيس) هذا مقلوباً و(يئس) مقلوباً عنه، فالمقلوب والمقلوب عنه لفظان مترادفان معنى واتحدت حروفهما ولكن اختلف ترتيبهما¹، ومن ثم كان القلب غير الاشتقاق الكبير².

■ ثالثاً. الاشتقاق الأكبر (الإبدال اللغوي):

الاشتقاق الأكبر هو أن يكون بين الكلمتين تناسبٌ في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة، وتناسب في مخرج الأحرف المبدلة، مثل: نعق ونهق³، فتتفق في اللفظين بعض الحروف وتتقارب في الباقي، وقد جعلوا التقارب في مخرج الحروف خاصة وفي صفتها نحو جبل وجبر، وحلف وحرف، وهمس وهمش⁴، ويطلق على هذا النوع أحياناً الإبدال اللغوي، الذي يختلف عن الإبدال الصرفي⁵. فمن تقارب المخرج الصوتي كذلك، تناوب اللام والراء في هديل الحمام وهديره، والقاف والكاف في كشط الجلد وقشطته، والباء والميم في كبحت الفرس وكمحته... ومن الاتفاق في الصفات: تناوب الصاد والسين في سقر وصقر، وسراط وصراط، وساطع، وصاطع، ومسقع ومصقع، وهكذا⁶.

وأورد ابن جني في باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" كثيراً من الأمثلة المتعلقة بهذا الضرب من الاشتقاق، وقال فيه: "وهذا باب واسع، من ذلك قوله الله سبحانه: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا﴾⁷ أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له؛

1 ويشبه هذا ما يسمى جناس القلب: وهو ما اختلف فيه ترتيب حروف اللفظين، واتفقا في النوع والعدد والهيئة، مثل: "حتف" و"فتح". و"عورة" و"روعة".

2 النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلوي، ص 561-562

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 271

4 النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلوي، ص 551

5 الإبدال الصرفي: هو إبدال حرف مكان حرف آخر مطلقاً.

6 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح الصالح، ص 211

7 سورة مريم: 83

كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك، ومنه العسف والأسف، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من "التردد" بالعسف¹.

وإذا كان الاشتقاق الكبير يقوم على القلب، فمن الواضح أن الاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال، وقد أدرك اللغويون إمكان وقوع الإبدال مثلما تصوروا إمكان وقوع القلب، وأنشأوا يلتمسون الشواهد على تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدل منها².

وقد اشترط العلماء أن يكون بين الحرفين تقارب في المخرج، وإن كانا من مخرج واحد فهو أفضل، خلافا لما يعتقده الكثير من اللغويين، فيقبلون كل صور الإبدال وإن تباعدت الأحرف المبدلة والمبدل منها صفة ومخرجا، وقد أشار إلى ذلك ابن سيده في المخصص: «فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقليل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا وذلك كإبدال حرف من حُرُوف الْقَم من حرف من حُرُوف الْحَلَق»³.

وبهذا، لا يتحقق الإبدال إذا كان ثمة تباعد تام بين مخارج الحروف المبدلة، كما لا يتحقق الإبدال إذا تباعد المخرج وتقارب الصفة، لأن المعول في باب الإبدال على المخرج لا على الصفة⁴.

ولهذا لم يذكر ابن جني في باب "تصاقب⁵ الألفاظ لتصاقب المعاني" من صور الإبدال إلا ما تقارب مخرجا، بل ما تأخى مخرجا، حتى كان يعلل هذا التقارب بقوله في الأحرف المبدل منها: "إنها أخوات الأحرف المبدلة"، ولهذا لم يُجرِ مجرى البدل مثل يدب ويدح؛ لأن الحاء ليست أخت الباء، ولا مثل جاسوا وحاسوا؛ لأن الجيم ليست أخت الحاء⁶.

وأكثر ما يكون التقارب الصوتي في الحروف المتقاربة المخرج، كالسين والزاي، في مثل: الشاسب والشازب: اليابس، وكالسين والصاد، في: القسطل والقسطل.

أو الخطأ في السمع، مثل: الخطيط في القطيط.

أو التصحيف الناجم عن قلة الإعجام قديما، مثل: تقيأت المرأة وتقيأت⁷.

1 الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 148

2 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح الصالح، ص 212

3 المخصص، ابن سيده، ج 4 ص 184

4 د. صبيح الصالح، المرجع السابق، ص 234-235

5 تصاقب: الصقب: القرب، ومكان صقب: قريب. وهذا أصقب من هذا أي أقرب، وتصاقب: تقارب، وقال بعضهم: أراد المصاقب: الملاصق.

6 د. صبيح الصالح، المرجع السابق، ص 235

7 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 276

ووافق هذا ما ذكره السيوطي نقلا عن أبي الطيب اللغوي، حيث قال: « ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغاتٌ مختلفة لمعانٍ متفقةٍ تتقاربُ اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرفٍ واحد. والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصدرة عينًا، كقولهم في نحو: أن عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قومٌ وذاك آخرون»¹.

أخيرا، الاشتقاق الأكبر، وإن لم تكن له نفس القيمة الاشتقاقية التي للاشتقاق الأصغر، وكذلك وإن اختلفت آراء اللغويين حوله قديما وحديثا، لكنه يبقى ظاهرة لغوية، تتميز بها لغتنا، لا يمكن إلغاؤها، وهي تدل على ثراء اللغة وقدرتها على توليد ألفاظها، حيث تجمع بين لفظين تتقارب دلالتهما، وتتوافق مخارج حروفهما المبدلة.

■ أمثلة عن الاشتقاق الأكبر:

نقل السيوطي عن أبي عبيد في الغريب المصنف: «مدهته أمدهه مدها يعني مَدَحْتَه. واستأْدَيْتُ عليه مثل استَعْدَيْتُ.

والأيم والأين: الحية.

وطانة الله على الخير وطأَمَه يعني جَبَلَه.

وفناء الدار، وثناء الدار بمعنى.

وجَدَث وجَدَف، القبر.

والمغافير والمغاثير، صمغ حلو يسيل من بعض الشجر.

وجَدَوْتُ وجَنَوْتُ والجذُو أن تقوم على أطراف الأصابع.

ومَرَث فلان الخبز في الماء ومَرَدَه.

ونبض العرق ونَبَذ، تحرك وضرب.

وقد تَرَجَّع السرابُ وتَرَيَّه إذا جاء وذَهَب².

وهَرَت الثوب وهَرَدَه إذا خَرَقَه.

وكَبِنُ الدَّلُو وكَبَلُها يعني شَفَقَها¹.

1 المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج 1 ص 356

2 المصدر نفسه، ج 1 ص 356

■ رابعا. الاشتقاق الكبّار (النحت):

الاشتقاق الكبّار بتشديد الباء، أو ما يسميه القدماء كابن فارس والسيوطي النحت.
لغة: النحت النشر والقشر، ونحت الجبل ينحته: قطعه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾² أي: يتخذون من الجبال بيوتا، متقنين لنحتها³.
اصطلاحا: يعد النحت وسيلة من وسائل توليد الألفاظ الجديدة، ويعرف بأنه: «أخذ كلمة من كلمتين فأكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى»⁴، وتفسير ذلك «أن تعتمد إلى كلمتين أو جملة، فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها»⁵.

أشار ابن فارس إلى أن النحت جنس من الاختصار تلجأ إليه العرب، وذلك كـ"رجل عبّشي" منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جارٍ ❖❖❖ أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنَادِي
 "حَيْعَلَةُ" مكان قوله: "حَيَّ عَلَى"⁶.

من أمثله: بسم من «بسم الله»، وحيعل من «حي على الفلاح»، حسبل، وحمدل، وحوقل، تلغراف، تلفون، زمكان، كهرمغنطسي، برمائي، هندوأوروبي، كهرومنزلي.
 وأقدم من تحدث عن النحت الخليل بن أحمد، قال: فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلا، قال الشاعر:

وتضحك مني شبيخة عبشمية ❖❖❖ كأن لم تري قبلي أسيرا يمانيا
 نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين والباء من (عَبْد) وأخذ الشين والميم من (شَمْس)، واسقط الدال والسين، فبني من الكلمتين كلمة، وقال: «إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لُقُرب مَخْرَجِهما إلا أن يُشْتَقَّ فعلٌ من جمع بين كلمتين مثل حَيَّ عَلَى، فيقال: حيعل يُحْيِلُ حَيْعَلَةُ»⁷.

1 المزهري في علوم اللغة، السيوطي، ج 1 ص 356

2 سورة الشعراء: 149

3 لسان العرب، ابن منظور، مادة (نحت)

4 من ذخائر ابن مالك في اللغة، أبو عبد الله ابن مالك الطائي الجباني، تح: محمد المهدي عبد الحّي عمار، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: 29، العدد: 107، 1419 هـ، ص 317

5 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 278

6 الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص 210

7 كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 1 ص 60

أما ابن جني فلم يعقد للنحت باباً، وإنما أشار إليه في ثنايا حديثه عن الاشتقاق الذي يركز على أصوات الكلمات، فاشتقوا من الصوت فعلاً، فجمعوه من حروفه، قال في باب: "إمساس الألفاظ أشباه المعاني": «وقولهم: بسملت وهيللت وحولقت؛ كل ذلك "وأشباهه" إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات»¹.

أما المحدثون فاختلفت آراؤهم حول النحت ونسبته إلى الاشتقاق، فقد ذهب فريق منهم إلى عدم اعتبار النحت من الاشتقاق، لأنه يختلف عنه، **في كون الاشتقاق يهدف إلى استحضار معنى جديد، أما النحت فغاياته الاختصار فقط**، وصرح فريق آخر بأن النحت نوع من أنواع الاشتقاق، لأنه **عبارة عن أخذ لفظ من لفظ آخر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في المعنى ومخارج الحروف**، وقد سماه بعضهم **الاشتقاق الكبّار**، وذهب فريق ثالث إلى أن النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاق بالفعل، ولعل أقرب الآراء إلى الصواب، الرأي الذي يجعل النحت نوعاً من أنواع الاشتقاق، للأسباب التالية:

❖ أن المعنى الاصطلاحي للاشتقاق ينطبق على النحت، ولهذا سماه العديد من اللغويين **الاشتقاق الكبّار**، ملحقين إياه بالأنواع الثلاثة الأخرى: الصغير، والكبير، والأكبر، وأبرز ما يميز الاشتقاق أن يكون اللفظ المشتق زيادة معنى ليست في المعنى الأصلي، **فلفظ بسملت أفاد حكاية قولك: "بسم الله"** وهذه الحكاية تتضمن زيادة على المعنى الأصلي، وفي هذا رد على من ادعى أن النحت نوع من الاختصار ليس إلا، فضلاً على أن الاختصار قد أنتج اسماً أو فعلاً أو صفة لم تكن موجودة قبل.

❖ أن أكثر القدماء قد اعتبروه من الاشتقاق، كالخليل، وابن جني كما سبق الإشارة إلى ذلك².

■ أقسام النحت:

النحت من كلمتين: بسمل: «بسم الله»، حسبل: «حسبي الله»
النحت من ثلاث كلمات: مشأل: «ما شاء الله».
النحت من أربع كلمات: هيلل: «لا إله إلا الله»
النحت من أكثر من أربع كلمات: حوقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله»

¹ الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 167، وسر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 01: 2000 م، ج 2 ص 374

² فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 293-294-295

■ طريقة النحت :

لا توجد طريقة محددة للنحت، ويمكن ملاحظة ما يلي:

1. عدم التقييد بأخذ الكلمة المنحوتة من جميع الكلمات المنحوت منها، كما في هيلل من «لا إله إلا الله».
 2. عدم التقييد بأخذ عدد معين من الحروف من كل كلمة، ففي حين أخذت كلمة «مشأل» حرفا واحدا على الأقل من كل كلمة في جملة «ما شاء الله»، نجد أن كلمة «حسبل» أخذت ثلاثة حروف من الكلمة الأولى وحرفا واحدا من الكلمة الثانية من جملة «حسبي الله».
 3. عدم التقييد بترتيب الحروف الأصلية للجملة المنحوت منها، مثل كلمة «طبلق» المأخوذة من «أطال الله بقاءك».
 4. عدم الالتزام بالحركات والسكنات الأصلية، مثل «سبحل» المنحوتة من «سبحان الله».
- وما يتفق عليه الدارسون هو: تفضيلهم أن تكون الكلمة المنحوتة تمثل الكلمتين المنحوت منهما تمثيلا حسنا، وذلك باختيار الأحرف التي تذكر السامع بما نحت منه اللفظ.

■ أنواع النحت:

يقسم النحت إلى أربعة أنواع:

1. النحت الفعلي: فيه ينتزع من الجملة فعل يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها، مثل: حمدل، وبسمل، وحوقل، وحسبل.
2. النحت الوصفي: فيه تنتزع صفة من كلمتين أو أكثر كلمة تدل على صفة بمعنى المنحوت منه، مثل: «صلدم» من «صلد وصددم»، والعَلِكِد بمعنى الشديد، من العكد بمعنى السمن والغلظة، ومن العلود وهو الشديد، ومن اللكد وهو تداخل الشيء بعضه في بعض.
3. النحت الاسمي: فيه ينحت من كلمتين اسم جامع بين معنيهما، مثل: «جلمود» من «جلد وجمد».

4. النحت النسبي: فيه ينسب شخص أو شيء إلى مكانين، طبرخزي من «طبرستان وخورزم»، أو ينسب إلى اسم مكان أو قبيلة مركبا تركيبا إضافيا، مثل عبشي من «عبد شمس»¹.

ملاحظة: يلاحظ أن كثيرا من الكلمات المنحوتة تخضع لقواعد التصريف والاشتقاق والتثنية والجمع: بسمل، يبسمل، بسملة، مبسمل.

■ أوزان النحت:

يمكن القول أن الكلمات المنحوتة ترد على الأوزان التالية:

1. فعلل: بسمل، حمدل، حبقر، صلدم... ويبدو أن جل الكلمات المنحوتة هي على هذا الوزن.
2. مُفَعَّل: مُحَبَّرَم، مشلوز...
3. متفعَّل: متعبشم، متعبدل...

❖ أسئلة للمناقشة (الاشتقاق وأنواعه):

- هل اختلف علماء اللغة في بيان أصل المشتقات؟
- ما هي شروط سلامة الاشتقاق؟
- هل اكتفت اللغة بالاشتقاق من الفعل، أو أنها اشتقت من ألفاظ أخرى؟ علل إجابتك.
- ما أهم نقد وجه للاشتقاق الكبير المعتمد على التقاليد؟
- ما علاقة مخرج الحرفين المبدلين في الاشتقاق الأكبر؟
- كيف يمكن اعتبار النحت من الاشتقاق؟

1 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 279